[109] العظيم، الذي تحدى به الفصحاء من العرب العرباء في المحافل والمجامع أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة، فاعترفوا بالعجز عن فصاحته وبلاغته، وبالقصور عن درجة معرفته ودلالته، فأقر المنصف الماهر واصر المتعسف المكابر، ولجأ إلى القتال بالسيوف، وتجرع مرارات الحتوف، لكان فيه أتم الكفايات وأبلغ النهايات، لاجرم وجب التمسك بدينه صلى ا عليه وآله والتعلق منه بأوثق عراه، وأمتن حباله. وإذ قد اختلفت الاراء والمذاهب، وتشتتت الأهواء، فذهب إلى كل واد ذاهب، وكان القرآن كما وصفه من نزل على قلبه: ذا وجوه، كان أن يتمسك كل فريق منه بما قفوه، رجعنا في التميز إلى السنة النبوية والأحاديث المروية وكان ما اتفق على نقله جميع الأمة أولى بأن يعتمد عليه ذو المروة والهمة ومنه قوله عليه السلام إني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب ا فيه الهدى والنور، فتمسكوا بكتاب ا عزوجل وخذوا به وحثوا عليه، ورغبوا فيه، ثم أهل بيتي. وقد تواتر نقل هذا الحديث بعبارات شتى اشتركت في وجوب التمسك بأهل بيته، فإخذنا عنهم، واقتبسنا من أنوارهم، حتى عرفنا ما تشابه من كتاب ربنا، و تواترت الإخبار عن النقالين عنهم، مع اختلاف الإمصار، والأعصار، وثبتت به دلالة النبوة، بل وبدونه بأضعاف مضاعفة، من أراده وقف عليه في مظانه مع أتفاق امة محمد صلى ا عليه وآله وسلم على فضلهم وعدالتهم، ووفور علمهم، فوجب اتباعهم كما وجب اتباع الرسول صلى ا عليه وآله فمن عدل عنهم فهو محجوج، إذا أصبح مسئولا يقول: " ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ". وحيث اقتضت الحكمة الالهية اختبار النشأة الانسانية وامتحانها، وليعلم صادق القول والنية، غلب أهل الضلال، وشاع الفساد والظلم من لاجهال، فاستتر أهل الذكر والدلالة، وتحير المفتون بالجهالة إلا من وفقه ا لاقتفاء الاثار، واتباع رسوم الديار، وذلك شذذ من أهل التوحيد والرسالة، الموصوفون بالطريقة الوسطى والعدالة. وكان منهم من أيده ا بحسن النظر، وامتحان الفكر خدن دراسة العلم والمسائل